الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم العلوم الإنسانية
شعبة التاريخ
المستوى: أولى ماستر (تاريخ الوطن العربي المعاصر)
محاضرة في مقياس: المشرق العربي والدولة العثمانية (1840م – 1920م)

عنوان المحاضرة

العرب وحكم السلطان عبد الحميد الثاني

ـــ تمهيد:

بدأت فترة الإصلاح في الدولة العثمانية منذ عام 1839م وانتهت بفترة المشروطية الأولى عام 1876م، هذه الفترة تميزت بمحاولات عدة لتحديث الدولة العثمانية ولتامين وحدة ترابها ضد حركات القومية والقوى المعادية، ومن المعروف تاريخيا أن الإعلان عن التنظيمات في فترة المشروطية تزامن مع عهد السلطان عبد الحميد الثاني الذي حاول جاهدا وضع أسس ومبادئ لدوله حديثة مزدهرة ومتطورة ولمعرفة هذه الحقائق اقترحنا الإشكالية التالية: ما مدى نجاح سياسة السلطان عبد الحميد الثاني في تغيير أوضاع الدولة العثمانية؟ وما موقف العرب من سياسته؟

أولا ـــ نبذة تاريخية عن شخصية السلطان عبد الحميد الثاني:

1- مولده ونشأته:

ولد السلطان عبد الحميد الثاني يوم الأربعاء 21 سبتمبر 1842م، وهو ابن السلطان عبد الحميد من زوجته الثانية، فقد أمه ولم يتجاوز عمره سبع سنوات، تلقى تعليما منظما في القصر السلطاني وتعلم اللغتين العربية والفارسية ودرس كثيرا من الكتب الأدبية على أساتذة متخصصين.

بعد زواجه رزق بسبعة عشر مولودا ثمانية ذكور، وتسعة إناث منهم الأميرة علوية وبدر الدين أفندي. وكان للسلطان عبد الحميد الثاني هوايات متعددة منها، الرياضة واقتناء الأسلحة والسيوف و أنشأ له متحفا في أحد قصوره، ومن هواياته أيضا مناقشة العلماء ومناضرة المشايخ، وجمع الكتب النادرة.

2- توليه الحكم:

بويع بالخلافة بعد أخيه مراد يوم الخميس 31 أوت 1876م، وكان عمره آنذاك أربعا وثلاثين سنة، وحضر لمبايعته الوزراء والأعيان وكبار الموظفين من مدنيين وعسكريين، وهنأه بالخلافة كذلك رؤساء الطوائف المختلفة وأطلقت المدافع بسائر أطراف الدولة احتفالا بهذه المناسبة، وبعد أسبوع تقلد الخليفة السيف بجامع الصحابي أبي أيوب الأنصاري وقلده إياه نقيب الأشراف بحضور شيخ الإسلام.

تولى عبد الحميد الثاني الحكم والأزمات المختلفة تحيط بدولة الخلافة من كل جانب، خزانة مفلسة وديون متراكمة، وعناصر محلية تدغدغ أنفسها أحلام القومية، وشعب توق للحكم البرلماني، وإلى جانب مؤامرات دولية لاقتسام إرث الرجل المريض.

3- سياسته العامة:

عمل السلطان عبد الحميد الثاني على تدعيم مركز الخلافة لدى المسلمين عن طريق الإسلام مما سيحفظ الدولة من الانهيار المبكر، فقوى فكرة الجامعة الإسلامية وأدخل عدة إصلاحات، إذ قرب إليه العلماء ونظم المحاكم القديمة كما اهتم ببناء

المساجد وكلف كبير المهندسين العثمانيين بعملية التعمير وإصلاح الحرم المكي، وقضى على إقطاعات كبيرة في البلاد وعين شخصيات موالية لعدة دول أوروبية مثل كمال باشا المؤيد لإنجلترا وسعيد باشا المقرب من فرنسا وخليل باشا المساير لروسيا وتوفيق باشا مناصر الألمان.

كذلك عامل عبد الحميد الثاني أقليات غير تركية معاملة خاصة لإضعاف العصبية القومية، وبدأ إصلاحاته الدستورية بتنظيم الحياة العامة وذلك بإنشاء مؤسسات جديدة كمجلس العموم المشكل من مجلسين الأعيان والمبعوثان وذلك في 24 أكتوبر 1876م، ثم عين "مدحت باشا" صدر أعظم وبعده بيومين أصدر قانون أساسي للدولة أو الدستور الذي احتوى 12قسما وبه 116 مادة وحدد فيه حقوق وامتيازات السلطان وأسرته، وقرر أن الإسلام دين الدولة وبين مقر الخلافة، وأن شخص السلطان مصون لا يمس وأنه لا يسأل أمام أحد عن أعماله ومن ثم كان الدستور مرتهنا بشخصه، وكذلك حدد الدستور الحقوق العامة لرعاة الدولة ومنع التعذيب وأبطل مصادرة الأموال بغير وجه حق، وقلص كثيرا من سلطات الصدر الأعظم وأعطاها للسلطان.

ثانيا ــ إصلاحات السلطان عبد الحميد الثاني:

1 ــــ الإصلاحات السياسية والعسكرية:

1 ــ 1 ــــ الإصلاحات السياسية:

من أبرز الأعمال الإصلاحية السياسية للسلطان عبد الحميد الثاني فكرة الجامعة الإسلامية التي ظهرت على عهده ومن بنات أفكاره ودعا إليها، وذلك للم شمل المسلمين وتوحيد كلمتهم أينما كانوا وحيثما وجدوا، فقد أكد على دعم أواصر الأخوة الإسلامية بين مسلمي الصين والهند وأواسط إفريقيا فقال **"إذا أردنا أن نفوت الفرصة على الإنجليز والروس فإننا نرى فائدة تقارب إسلامي"** وفي مناسبة أخرى قال **"إن إنجلترا تعمل لهدفين إضعاف تأطير الإسلام وتقوية نفوذها، لذلك أراد الإنجليز أن يكون الخديوي في مصر خليفة المسلمين".**

ومن بين الأهداف التي كان يرمي إليها السلطان عبد الحميد الثاني من فكرة الجامعة الإسلامية، مواجهة المثقفين الغربيين المتوغلين داخل المراكز الإدارية الحساسة للدولة من جهة، واستعادة قوة الخلافة كمنصب سياسي يقف وراؤه السلطان لمواجهة أطماع الغرب وعملائه في الداخل من جهة أخرى، وهذا ما أشار إليه المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي حينما قال" إن السلطان عبد الحميد الثاني كان يهدف من سياسته الإسلامية تجميع مسلمي العالم تحت راية واحدة، هذا لا يعني إلا هجمة مضادة يقوم بها المسلمون ضد هجمة العالم الغربي".

أما الوسائل التي اعتمدها السلطان عبد الحميد الثاني لإنجاح فكرة الجامعة الإسلامية هي: الطرق الصوفية، الدعاة، العلماء، إنشاء مراكز الدراسات في شتى العلوم وإنشاء سكه حديديه في الحجاز.

1 ـــ 2 ـــ الإصلاحات العسكرية:

اهتم السلطان عبد الحميد الثاني بالمؤسسة العسكرية وحاول تطويرها وتحديثها لتواكب تطورات العصر، وتكون قادرة على الدفاع عن ممتلكات الدولة أمام الأطماع الغربية والحركات التمردية المدعومة من طرف الغرب، فأنشأ أكاديمية للعلوم العسكرية وعدد من المدارس العسكرية العالمية التي أدخل فيها عدد كبير من الشباب العرب الممتازين (العراق، مصر، وسوريا...) وكون جهازا تنظيميا لها باسم المكاتب العسكرية، كما قام أيضا ببناء العديد من الثكنات العسكرية الحديثة في تلك الفترة ففي دمشق على سبيل المثال أنشأ ثكنة تعرف باسم "قشلا الحميدية" أيام ولاية حسين ناظم باشا 1895م ـــ 1907م وجعلها بمثابة جامعة عثمانية ينام ويطعم فيها أفراد الجيش العثماني الخامس المتمركز في مدينة دمشق، وأمر بارتداء الجنود للزي العسكري الأوروبي.

وقد استقدم السلطان عبد الحميد الثاني مجموعة من الجنرالات الألمان المختصين لكي يدربوا الجيش العثماني حسب متطلبات العصر، وأرسل بعثات عسكرية إلى ألمانيا كما افتتح مدرسة في قصره لموظفي التلغراف لإدارة الشبكة الهاتفية للأغراض العسكرية والمدنية، وأصبح في الإمكان إصدار الأوامر وتسيير الاتصالات بين القادة في مختلف الجهات.

أما بالنسبة للسلطة العسكرية فقد فصلت عن السلطة المدنية، وكان التجنيد يتم بموجب القرعة، حيث يتوجب على كل فرد بلغ العشرين من العمر أن يتوجه إلى دائرة أخذ العسكر من أجل سحب القرعة.

2- الإصلاحات الاقتصادية

كانت الدولة العثمانية تعاني في مرحلة التنظيمات وبالتحديد بدءا من عام 1860م أخطر أزماتها المالية التي كانت تتصاعد سنة بعد سنة، ففي عام 1869م كانت الدولة تشهد إفلاسا رهيبا، وخلال هذه الأزمة تولى السلطان عبد الحميد الثاني العرش مما اضطره لأن يتخذ إجراءات مالية صارمة تهدف إلى وضع حد لسياسة الإسراف والتبذير التي كانت سائدة في الدولة وتعد أحد أسباب هذه الأزمة، فبدأ بنفسه وبالقصر السلطاني، فعلى سبيل المثال كانت العادة قبل توليه الحكم أن يقوم المطبخ في القصر بإرسال الطعام ثلاثة مرات في اليوم إلى كل منزل من منازل الحرس السلطاني وموظفي القصر ومستخدميه، فأمر السلطان بإزالة هذه العادة ومنع خروج الطعام مجانا من مطبخ القصر.

وكانت الدولة عاجزة عن إيواء المهاجرين ممن طردهم الأوروبيون من أراضي الدولة في البلقان، فقام السلطان ببناء مساكن ومساجد لهم من ماله الخاص، وأوجد لهم الأعمال وأكرم قادتهم، و تكفل بنفقات رعايا الدولة الذين شردتهم الحرب العثمانية الروسية.

إن الأزمة المالية دفعت السلطان عبد الحميد الثاني إلى اتخاذ خطوات صارمة لسداد الديون المتراكمة فأصدر أوامر بدفعها، وكانت نتيجة هذه التدابير أن هبطت ديون الدولة العثمانية التي كانت تبلغ 300 مليون ليرة عند تسلمه العرش.

أبدى السلطان عبد الحميد الثاني اهتماما بالغا بإنشاء الخطوط الحديدية في مختلف أنحاء الدولة العثمانية مستهدفا من ورائها تحقيق ثلاثة أغراض:

أ- ربط أجزاء الدولة المتباعدة مما يساعد على نجاح فكرة الوحدة العثمانية والجامعة الإسلامية، والسيطرة الكاملة على الولايات التي تتطلب تقوية قبضة الدولة عليها.

ب- إجبار تلك الولايات على الاندماج في الدولة، والخضوع للقوانين العسكرية التي تنص على وجوب الاشتراك في الدفاع عن الخلافة بتقديم المال والرجال.

ج- تسهيل مهمة الدفاع عن الدولة في أي جبهة من الجبهات التي تتعرض للعدوان، لأن هذه الخطوط الحديدية تساعد على سرعة توزيع القوات العثمانية إلى تلك الجبهات.

وكانت سكة حديد الحجاز من أهم الخطوط الحديدية التي تم إنشاؤها في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، وقد أشرف على إقامة هذا الخط مهندسون من الألمان وكان السفر عبره يستغرق من المسافرين أربعة أو خمسة أيام على الأكثر، ولم يكن الغرض من إنشائه مجرد خدمة حجاج بيت الله الحرام فحسب، بل كان الغرض أيضا ربط مركز الخلافة بالأماكن المقدسة في الحجاز لإشعار المسلمين بمدى بسط الخليفة لسلطته الروحية والسياسية ـ ظاهريا ـ على هذه الأماكن .

وقد حاولت الدولة العثمانية تأمين المواد اللازمة لبناء السكة من موادها الداخلية لكن محاولاتها لم تحرز نجاحا كبيرا يذكر، الأمر الذي اضطرها إلى شراء معظم المواد المصنوعة من أوروبا وأمريكا، لاسيما القضبان والعربات، وكانت القضبان الحديدية أكثر المواد ثمنا.

3 ــ الإصلاحات الاجتماعية والثقافية:

3 ــ 1 ــ الإصلاحات الاجتماعية:

ومن مظاهرها الخدمات الاجتماعية التي قام بها السلطان عبد الحميد الثاني للصالح العام، وتأتي في مقدمتها الخدمات الصحية، وبما أن السلطان عبد الحميد الثاني اهتم أيما اهتمام بالصحة العامة للمجتمع العثماني، فقد أخذ كل التدابير التي تحول دون انتشار الأمراض والأوبئة كانتشار وباء الكوليرا ولهذا أنشأ مدرسة "حيدر باشا" المختصة في الطب، وأسس أول مدرسة للطب في دمشق وكان ذلك على عهد الوالي حسين ناضم باشا، كما قام ببناء مستشفى للأطفال الفقراء والغرباء صدقة على روح ابنته الأميرة خديجة، وقال آنذاك:"لم يكن من الممكن إنقاذ طفلتي...

ومن يعلم ما هي الحالة التي عليها الأطفال الفقراء ولا أقل من أن أنشئ لهم مستشفى"، و كان يسمى هذا المستشفى، مستشفى الغرباء وتم تشييده في 18 مارس 1899م.

ونظرا لأهمية المواصلات في الحياة العامة فقد اهتم السلطان عبد الحميد الثاني بهذا المجال فأنشأ الطرق المعبدة وسكك الحديد، ومن بين هذه المنجزات نذكر:

أ- الطرق المعبدة: طريق حمص – طرابلس، تأسس عام 1883م للربط بين حمص وطرابلس برأس مال قدره 9000 ليرة عثمانية ثم تم رفع هذا المبلغ بعد ذلك إلى 210000 ليرة، وأيضا طريق دمشق – حوران: تم افتتاحه عام 1888م، وأنعش هذا الطريق القرى الواقعة بجانبه فأصبحت تصدر منتوجاتها إلى المدن السورية بسهولة.

ب - السكة الحديدية: خط يافا – القدس، وهو أول خط حديدي مد من سوريا، وكان الغرض من إنشائه هو خدمة الحجاج المسيحيين القادمين من أوروبا إلى يافا عن طريق البحر، خط دمشق – بيروت 1891م، بلغ طوله حوالي 147 متر ويحتوي على أربعة أنفاق وهو يقطع جبال لبنان بواسطة الخطوط المسننة على مسافة 34 كيلومتر.

وقد اهتم السلطان بالمرافق العامة التي تخدم المجتمع وصرف عليها ما يقارب 72 قطعة ذهبية، ومن بين هذه المرافق مد أنابيب المياه إلى العاصمة، وتشييد السدود، و بناء غرف الصناعة والزراعة والتجارة، ومعامل الخزف وتأسيس مصنع الفخار ومصنع الورق ومصنع الغاز...

3 ـــ 2 ـــ الإصلاحات الثقافية:

لقد حاول السلطان عبد الحميد الثاني بإخلاص أن ينشر مؤسسات التعليم والتنوير في كل أنحاء البلاد، ولم يكتف بإعداد الإنسان المتعلم أو بافتتاح المدارس فقط، بل قام بتشجيع أولائك الذين يسعون لتعليم أنفسهم بأنفسهم، حيث قام بتقديم الدعم المادي والمعنوي لهم ونذكر من هؤلاء "مدحت باشا" و"أحمد مدحت أفندي".

وللحد من مساوئ التعليم الإرسالي عمل السلطان على تحديث التعليم، وإقامة نظام تربوي يرتكز على مؤسسات تعليمية عصرية أكثر مما يرتكز على المؤسسات الدينية، و حاول إحداث توازن بين التعليم المدني و التعليم العسكري.

أما فيما يتعلق بالأنشطة التعليمية وعدد المدارس بإسطنبول أثناء فترة حكمه فقد تم تأسيس 264 مدرسة للأولاد و3 مدارس أولية خاصة بالفتيات، و19 للبنين مع مدرسة إعدادية بحرية واحدة و 8 مدارس عسكرية و12 مدرسة للتعليم العالي والتعليم الثانوي في إسطنبول في نفس الفترة.

ويعد السلطان عبد الحميد الثاني المؤسس الحقيقي للتعليم الابتدائي والمتوسط على الطراز الغربي، فكانت المدارس الأولية تعرف بالمرحلة الابتدائية ووصل عددها من 6 مدارس إلى 9347 مدرسة، أما عدد المدارس الرشدية (المرحلة

المتوسطة) من 277 إلى 619 مدرسة، وكان تدريس اللغة الأجنبية إجباريا في المرحلة الثانية، ونذكر من المدارس مدرسة الملكية (كلية العلوم السياسية)، ومدرسة الحقوق، ودار المعلمين العليا، وافتتاح دار الفنون.

كما كفلت الدولة العثمانية في عهده حرية التعليم للرعايا غير المسلمين فكانت هناك مدارس الروم وبلغ عددها 66 مدرسة، ومدارس اليهود وعددها 34 مدرسة ومدارس البروتستانت وهي 11 مدرسة، ومدارس الكاثوليك وعددها 09 مدارس، ومدارس البلغار وعددها 03 مدارس، وعلى عهده أعطت الدولة أهمية كبيرة لطباعة الكتب التي عرفت ازديادا كبيرا.

وقد اعتنى السلطان عبد الحميد الثاني بالمؤسسات الثقافية وقام بتطويرها، ومن هذه المؤسسات نذكر متحف الهمايون (متحف الدولة) والمتحف العسكري، ومكتبة بايزيد العامة ومكتبة يلدز، كما اعتنى بدور العبادة وفي مقدمتها المساجد التي شيد ورمم كثيرا منها.

وعليه نعتقد أن السلطان عبد الحميد الثاني أعظم سلاطين الدولة العثمانية في عصر الانحطاط، ولا شك أنه قام بأعمال وخدمات جليلة للدولة العثمانية في مجالات متعددة لإيقاظها من الانهيار والانحطاط.

ثانيا ـــ موقف العرب من حكم السلطان عبد الحميد الثاني ونهاية حكمه:

1 ـــ موقف عرب بلاد الشام:

1 ـــ 1 ـ الجمعيات السرية: في بلاد الشام تأسست جمعيات سرية على يد الشبان العرب المسيحيين، نددت بالحكم العثماني، وطالبت باستقلال الولايات العربية وأهمها:

1 ـــ 1 ـــ 1 ـــ جمعية بيروت السرية: تأسست سنة 1875م على يد شبان عرب مسيحيين درسوا في الكلية البروتستانتية السورية ببيروت، استقطبوا نحو اثنين وعشرين شخصا من مختلف الطوائف الدينية، وأنشئوا للجمعية فروعا في دمشق وطرابلس وصيدا وهدفت الجمعية إلى انفصال سوريا ولبنان عن الحكم العثماني.

اعتمدت الجمعية على منشورات سرية لمهاجمة النظام والسلطان العثماني ووزعت منشوراتها المكتوبة بخط اليد في الشوارع، وأصدرت دستورا في عام 1880م أكد على سلبيات الحكم العثماني مثل القضاء على اللغة العربية واغتصاب الحكم من العرب.

1 ـــ 1 ـــ 2 ـــ جمعية حقوق الملة العربية: أسسها المثقفون العرب في بيروت ودمشق وطرابلس وصيدا سنة 1881م، نادت بالوحدة الإسلامية المسيحية ضمن إطار قومي عربي، ووزعت المنشورات المخطوطة باليد، ودعت للإتحاد والقوة واليقظة والتمرد على استبداد ـــــ حسب زعمها ـــــ السلطان عبد الحميد الثاني.

جاء في أحد منشوراتها:"**أين أنتم –العرب- وأين هم –الأتراك-؟ من منكم اليوم أمير؟ ومن منكم اليوم وزير؟ ومن فيكم اليوم مدير؟ بل كل واحد منكم فقير، وكبيركم مثل صغيركم والمال والأموال في أيدي الأتراك. اتحدوا واستعدوا لنيل حريتكم من المعتدين"**، وفي منشور أخر بين هؤلاء المثقفون سلبيات الحكم العثماني اتجاه العرب ودعوا إلى الثورة عليه.

1 ــ 1 ــ 3 ــ جمعيات أخرى: قامت جمعيات أخرى مناهضة للسلطان عبد الحميد الثاني في سوريا مثل جمعية النهضة العربية التي تأسست عام 1906م وتحولت بعد مدة إلى "المنتدى العربي"، كان فرعها في دمشق يحمل اسم "جمعية النهضة السورية"، تمثلت غايتها في الظاهر خدمة اللغة العربية وسرها التخلص من العثمانيين وتوحيد البلاد العربية. من مؤسسيها، "محب الدين الخطيب، عارف الشهابي، عبد الكريم خليل وشكري الحيدي".

وقد ساهمت هذه الجمعيات في غرس روح القومية في العنصر العربي وهيأته للثورة على الأتراك العثمانيين.

1 ــ 2 ــ الشخصيات الفكرية:

ساهمت عدة شخصيات عربية في إثارة الرأي العام العربي ضد الحكم العثماني وأهم تلك الشخصيات هي:

1 **ــ 2 ــ 1 ــ جبرائيل الدلال 1836م-1892م:** نشر الدلال عدة مقالات في الصحف لاسيما في جريدتي "الجنان" و "الأهرام" ألهب بها حماس الشباب والمثقفين العرب، اشتهر بقصيدته"العرش والهيكل" التي عالج فيها استبداد الحكام العثمانيين، وقد بدأ قصيدته منتقدا السلاطين العثمانيين، واصفا إياهم بالظلم والاستبداد وقهر الشعوب، ثم ألب الأهالي العرب ضد العثمانيين، داعيا إياهم إلى الثورة من أجل إقامة حكم جمهوري وعادل على يد أبناء عرب يتساوون في الحقوق والواجبات ويعم الأمن في البلاد العربية.

1ــ 2 ــ 2 ــ شلبي الشميل 1855م-1917م: ألف كتاب "شكوى الأمل" في 1896م ضد السلطان عبد الحميد الثاني، لخص فيه نقائص الحكم العثماني واعتبر أن طريق الرقي، والتقدم للعرب هو تقليد أنظمة أوروبا.

1ــ 2 ــ 3 ــ سليم البستاني 1848م-1884م: شارك الشباب العربي طموحاته السياسية، ففي مقال له دعا إلى إعادة الاعتبار للعرب الذين اضطهدهم الحكم العثماني فقال:"...لابد من أن يعرج بنا الزمان إلى الأفق، الذي حجبته عنا، غيوم السياسة..."

1 **ــ 2 ــ 4 ــ نجيب العازوزي:** ظهر نشاط العازوزي السياسي المعارض، منذ أواخر حكم السلطان عبد الحميد الثاني، إذ أسس "عصبة الوطن العربي" في باريس كهيئة مناوئة للحكم العثماني ومحررة للشام والعراق من السيطرة

التركية، كما نشر كتابا باللغة الفرنسية "يقظة الأمة العربية" دعا فيه إلى انفصال الولايات العربية عن الدولة العثمانية، وأن يكون الحجاز مقرا لخلافة عربية وأن تكون الشام والعراق دولة عربية موحدة عصرية.

2 ـــــ موقف مصر:

2 ـــ 1 ـــ المعارضون للسلطان عبد الحميد:

من أبرز المعارضين للسلطان عبد الحميد الثاني في مصر والي الدين يكن (1873م ـــــــ 1921م) الذي ألف قصيدة تشنع فيها بالسلطان عبد الحميد الثاني الذي اقترن عهده ـــ حسب زعمه ـــ بسيادة الجواسيس والجواري، وغلبة الهوى على الإنصاف. كما أوضح والي الدين يكن موقفه الصريح من الجامعة الإسلامية من خلال جريدته "الجريدة" فقال:"أما كون الجامعة الإسلامية موجودة وجودا حقيقيا... فهذا لا دليل عليه مطلقا".

وقد تدعم التيار المعارض للسلطان عبد الحميد الثاني، بظهور اتجاه طائفي مستقل عن الاتجاه الوطني المصري على يد بعض المثقفين الأقباط، الذين كانت لهم مواقف خاصة اتجاه التيارات الوطنية الموالية للعثمانيين، وقد أكثرت صحيفة مصر من الطعن في السياسة العثمانية وانتقدت مواقف الدولة العثمانية ووقفت منها موقفا سلبيا أثناء حرب العثمانيين مع اليونان "أن الدولة العثمانية ليست في حاجة إلى المساعدات المصرية وإذا كان لابد من التبرعات فلتكن باسم الجامعة الإسلامية"

أما القوميون في مصر فقد هاجموا الرابطة الدينية عموما والجامعة الإسلامية خصوصا، ومثل اتجاههم حزب الأمة الذي نادى أحد أعضائه وهو أحمد لطفي السيد بوجوب التحرر من الانتماء الذي تمثله الجامعة الإسلامية والتعاون مع الأوروبيين.

2 ـــ 2 ـــ المؤيدون للسلطان عبد الحميد الثاني:

كان هناك تيار ساند الرابطة العثمانية، وعلى رأسهم الزعيم الوطني مصطفى كامل الذي دعا إلى ضرورة التمسك بالانتماء للعثمانيين والدعاء لهم بالنصرة على الأوروبيين، ففي مقدمة كتابه المسألة الشرقية الصادر سنة 1898م دعا الله أن ينصر العثمانيين وسلطانهم وحاكم مصر الخديوي عباس حلمي. فقال"... أن يهب الدولة العلية القوة الأبدية والنصر السرمدي، ليعيش العثمانيون والمسلمون مدى الدهر في سمو ورفعة وأن يحفظ للدولة العثمانية حامي حماها وللإسلام إمامه وناصره جلالة السلطان الأعظم والخليفة الأكبر الغازي عبد الحميد الثاني وأن يحفظ لمصر في ظل جلالة عزيزها المحبوب وأميرها المعظم سمو الخديوي عباس حلمي الثاني..."

واعتبر مصطفى كمال نقل الخلافة من العثمانيين إلى العرب، كما دعا له الكواكبي والخديوي عباس حلمي دسيسة بريطانية وعليه أيد سياسة الجامعة الإسلامية واعتبر عبد الحميد الثاني سيد الحكماء وقدوة الساسة وقادة الأمم.

وفي نفس السياق اعتبر الشيخ محمد عبده الولاء للدولة العثمانية والمحافظة على كيانها، جزءا من العقيدة الإسلامية ففي مقال كتبه في بيروت عام 1886م قال:"المحافظة على الدولة العثمانية العليا، ثالثة العقائد بعد الإيمان بالله ورسوله، فإنها وحدها المحافظة عليها لسلطان الدين الكافلة لبقاء حوزته، وليس للدين سلطان في سواها، إنما على هذه العقيدة والحمد لله عليها نحيا ونموت، إن هذه الدلائل التاريخية تبين قوة الرابطة العثمانية الإسلامية عند المصريين من جهة، ورد فعل على التيارات القومية من جهة أخرى.

وهكذا تنوعت مواقف المصريين اتجاه سياسة السلطان عبد الحميد الثاني بين مؤيد ومعارض، تبعا للقناعات الذاتية والمنطلقات الفكرية المبدئية لكل مفكر أو تيار سياسي خاصة بين التيار الوطني الإسلامي والتيار القومي المسيحي.

3 ـــ موقف رواد الإصلاح:

3 ـــ 1 ـــ عبد الرحمان الكواكبي: (1848م – 1902م)

يعتبر عبد الرحمان الكواكبي من الشخصيات الإسلامية التي عارضت حكم السلطان عبد الحميد الثاني، تأثر الكواكبي بفكرة الثورة الفرنسية ومبادئها، فعارض الاستعباد الذي بين فيه طبيعة آفة الاستبداد، فقال:"**هي صفقة للحكومة المطلقة العنان، التي تتصرف في شؤون الرعية كما تشاء، بلا خشية حساب ولا عقاب".**

ودعا الكواكبي إلى الثورة ضد الأتراك الذين جردهم من صفة الخلافة الشرعية و شدد أكثر على أن يكون الخليفة قرشيا، وأكد على مطالبته بالقومية العربية في إطار الإسلام.

3 ـــ 2 ـــ الشيخ محمد رشيد رضا: (1865م – 1935م)

تأثر السيد محمد رشيد رضا بأفكار الأفغاني، عن طريق اهتمامه بقراءة مقالاته في مجلة "العروة الوثقى"، ولازم أستاذه الشيخ "محمد عبده"، وأصدر جريدته "المنار".

منذ عام 1905م بدأ الشيخ "محمد رشيد رضا" دعوته لإصلاح الدولة العثمانية ومحاربة ما يسمى "بالاستبداد الحميدي" داعيا للحكم الدستوري، وقد ترأس "جمعية الشورى العثمانية" ودعا لوجود دولة عربية منفصلة عن دولة الخلافة، كما دافع صاحب المنارة عن الخديوي "عباس حلمي باشا"، ونفى عنه تهمة اتفاقه مع الإنجليز.

3 ـــ 3 – أبو الهدى الصيادي الحلبي: (1849م – 1909م)

أكد السلطان عبد الحميد الثاني ثقته بالعرب عموما والسوريين خصوصا، فاستعان بهؤلاء في المناصب الحساسة في الدولة، فجعل منهم المستشارين أمثال "أبو الهدى الصيادي الحلبي " الذي قضى ثلاثين عاما في خدمة الدولة العثمانية،

مـدافعا عـن الخلافـة الإسـلامية وداعيـا المسـلمين إلـى وجـوب الوقـوف معهـا، وقـد ضـبط عنـده رجـال حكومـة الاتحـاد والترقـي ـــ بعـد خلـع السـلطان ـــ وثـائق تبـين أن الصـيادي كان ينصح السلطان عبد الحميد الثاني بما هو نافع للدولة والرعية.

ألـف الصـيادي كتابـا بعنـوان "داعـي الرشـاد لسـبيل الاتحـاد والانقيـاد" نشـره فـي الأسـتانة، بـين فيـه أهميـة مشـروع الجامعـة الإسـلامية، وأوضـح أن الأسـس الهامـة فيهـا هو منصب الخلافة، مما يستوجب اتفاق المسلمين حولها.

4 ـــ نهاية حكم السلطان عبد الحميد الثاني:

فـي سـنة 1908م خلـع الاتحـاديون السـلطان عبـد الحميـد الثـاني عـن العـرش ونفـوه إلـى مدينـة سـالونيك، ووضـعوه تحـت الحراسـة المشـددة وفـي أحـوال سـيئة، كـان لعبـد الحميـد أمـوال مودعـة فـي البنـوك الألمانيـة، ضـغط الاتحـاديون علـى السـلطان فتـرة طويلـة حتـى تنـازل لهـم عنهـا، إلا أنـه شـرط علـيهم عـدة شـروط لأخـذها وهـي عـودة ابنـه عبـد الـرحيم أفنـدي إلـى اسـطنبول ليتحصـل علـى العلـم وعـودة بناتـه ليتـزوجن، ومـنح بعـض العمـال معـه الحريـة، وتخصـيص قـدر كـافي مـن النقـود لـه وشـراء قصـر وغيرهـا مـن الشـروط، وبقـي فـي سـالونيك مـن 1908م حتـى انـدلاع حـرب البلقـان الأولـى عـام 1912م أيـن تقـرر نقلـه إلـى العاصـمة اسـطنبول التـي وصـل إليهـا فـي 1 نـوفمبر 1912م واسـتقر فـي قصـر بكلـر بكـي إلـى أن تـوفي فـي 10 فيفـري 1918م علـى اثـر مـرض عضال ودفن في اسطنبول.

المصادر والمراجع

1- الأربـاجي سـيف الله: السـلطان عبـد الحميـد الثـاني (مشـاريعه الإصـلاحية وإنجازاته الحضارية).
2- جوقة باش سليمان: السلطان عبد الحميد (شخصيته وسياسته).
3- حرب محمد: السلطان عبد الحميد الثاني.

4- زين العابدين شمس الدين نجم: تاريخ الدولة العثمانية.
5- كارتلون هيل: التاريخ الأوروبي الحديث 1789 ـــــ 1914م.
6- الكياني سامي: الأدب العربي المعاصر في سوريا 1850-1950م.
7- محمد زكي، وملا البرداوي: الكرد والدولة العثمانية.
8- محمد محمد حسن: الاتجاهات الوطنية في الأدب العربي المعاصر.
10 ـــــ مصطفى عبد الرحيم أحمد: أصول التاريخ العثماني.
11 ـ الصلابي علي محمد: عبد الحميد الثاني وفكرة الجامعة الإسلامية (أسباب وزوال الخلافة العثمانية).
12 ـ الهادي محمد مصطفى: السلطان عبد الحميد الثاني في الإنصاف والجحود.
13 ـــــ ياغي أحمد اسماعيل: الدولة الإسلامية في التاريخ الإسلامي الحديث.
14 ـ الغامدي سعد: موقف المعارضة في المشرق العربي من حكم السلطان عبد الحميد الثاني في الشام ومصر (1293-1327ه)، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد بن سعود، الرياض، 1985م.